

# لمحة عن ماضي كونفيدرالية ءايت واوزكيت من خلال بعض المصادر التاريخية

صدقي علي ءازايكو  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
الرباط

إن ءايت واوزكيت من المجموعات البشرية الأطلسية المعروفة اسما وموقعا منذ القرن الثاني عشر الميلادي على أقل تقدير <sup>(1)</sup> ومع ذلك فإن تحديد المجموعات البشرية المنضوية تحت اسم «ءايت واوزكيت» منذ ذلك الوقت والتعرف على التي انضمت إليها بعد ذلك وبالتالي ضبط المجال الجغرافي الأصلي الذي كان موطنهم، والتعرف على المجالات الملحقة به بالتوسع أو بالانضمام ... يطرح مشاكل ليس من السهل حل ما تعذر منها.

إن البحث في هذه النقطة سيؤدي بالضرورة إلى طرح مسألة أخرى هي طبيعة تكوين ءايت واوزكيت من حيث الأساس المعتمد في انتظام تجمعهم والعناصر المكونة لمجتمعهم. وسيثير هذا الجانب - هو بدوره - مسألة العوامل المختلفة التي تربط السكان بمجالهم الجغرافي، وهي بالذات مسألة علاقتهم بمحيطهم الطبيعي الحيوي الذي يتحكم في توجيه أنشطتهم، ويؤثر في مخيلتهم وينعكس على تصوراتهم وعلى مسمياتهم وسلوكهم. ومجالهم هذا - نتيجة لهذه العلاقة - يحفل بآثارهم التي غيرت إلى حد ما طبيعته الأولى، أو

---

1. انظر : AL-Idrīsī, Description de l'Afrique septentrionale et saharienne, Texte arabe extrait du «Kitab : Nuzhat al-Muchâtâq...», publié par Henri Pérès, Alger, 1376H = 1957 J-C., p. 40.

لم يشر البكري إلى ءايت واوزكيت، كما أنه لم يذكر اسماء «القبائل» المصمودية التي يمر بها طريق غمات - إيكلي كما وردت عند الإدريسي. غير أن مراحل هذا الطريق عند البكري أكثر وضوحا منها عند الإدريسي، مما يسهل تتبعه أكثر منه عند الأخير.

انظر كذلك أبو بكر بن علي الصنهاجي (ءازناك) المكنى البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، أخرجه إ. لافي بروفنسال، باريس 1928، النص العربي، ص 41، 71 - 72، 177 - 118، 127 - 128، 76، 79، 132.

بالأحرى سخرت بعناية ما يمكن تسخيره منه للاستجابة إلى حاجياتهم، فدرجوا منحدراته وأجروا مياهه في قنوات وضبطوا أرجاءه وزواياه بمعالم اسمية أو طوبونيمية مكثفة جعلت كل أجزائه أعلاما تنبئ بأثر الإنسان وعبقريته.

غير أن قيام الجماعة وارتقاءها إلى درجة المجتمع المعقد يقتضي بالضرورة إيجاد أنظمة ومؤسسات توطر العلاقات بين أفراد المجتمع الصغير، وتبرز شخصيته المعنوية التي يخضع لسلطتها السلوك العام للمنضوين تحتها. فمعرفة نظام الحكم السائد داخل الجماعة ضروري لتحديد المصادر المرجعية لفلسفة الجماعة وتطبيق العوامل المتحركة في ممارستها التطبيقية.

وأخيرا يأتي الجانب الذي يستحوذ بصفة عامة على اهتمام الباحثين في تاريخ المجتمعات المحلية لأن له أصداء في المصادر المكتوبة، الشيء الذي سهل شيئا ما محاولة مقارنته، ولأنه على وجه الخصوص اقتحم - بقوة الفعل الجماعي لمجتمع محلي ما - المجال العام الذي تكاد تقتصر عليه الأخبار التاريخية وهو ما يمكن أن نسميه بفضاء الدولة ... هذا الجانب هو الذي يتمثل في علاقات المجتمعات المحلية بالسلطة المركزية.

ورغم أهمية هذا الجانب من تاريخ المجتمعات المحلية، فإن الاختصار عليه كموضوع للبحث، يدفع الباحث بعيدا عن الجوانب الأخرى، مما يضطره إلى الاعتماد أساسا في تحليله للموضوع على المعطيات المتوفرة لديه، وهي بالضرورة معطيات تنتمي في أغلب الأحيان إلى فضاء الدولة بمعناها الشامل. وهذا بالطبع لا يكفي لتحقيق ما تصبو إليه الكتابة التاريخية وهو العمل على الوصول إلى التاريخ الشامل أو الاقتراب منه على الأقل (انظر على سبيل المثال : **Lucien Febvre, la Terre et l'évolution humaine, Paris, 1970, pp. 69, 75, 77**) بعد هذه التوطئة الصغيرة التي حاولت من خلالها أن ألمح إلى بعض جوانب الموضوع التي سأطرق إليها جزئيا أذكر بكل موضوعية بأن ما يتضمنه هذا العرض لا يكون إلا اطلالة سريعة تشوبها ثغرات كثيرة، على موضوع يستحق بدون شك اهتماما أكبر ووقتا أكثر بالقدر الذي يمكن من إخراجه إلى الوجود عميقا ومتكاملا.

**مجال ءايت واوزكيت الجغرافي :**

إن أول من أشار إلى «ءَايْتْ وَأَوْزْكِيْتْ» باسمهم هو - حسب ما نعرفه

إلى حد الآن - الإدريسي مؤلف نزهة المشتاق، حوالي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك حينما تحدث عن عدد المراحل التي تفصل بين تارودانت وأغمات، وذكر أن الطريق الرابط بين المدينتين يمر في أراضي قبائل من المصامدة، ومن بينها عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ (كتبها هو أو الناسخ انتوزكيت) غير أن عبارة الإدريسي تحدد الجهة ولكنها لا تضبط موقع عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ فيها. غير أن كتاب أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق الذي يعد الإدريسي معاصرا له تقريبا، يتضمن أخبارا عن عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ أكثر دقة وبالتالي فهي تمكن من تحديد مواطنهم آنذاك على وجه التقريب.

ظهر اسم عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ في كتاب البيذق حينما أجرى الحديث عن وقائع خروج ابن تومرت من مراکش هربا من المرابطين واتجه نحو جبل دُرْن المراكشي. فبعد أن تنقل في جبال إيزراكن وإينتات وإيغياين في السفح الشمالي أمَّ جهة السفح الجنوبي ونزل بلاد تيفنوت التي تكلل قمة توبكال رأس أعاليها. بلاد تيفنوت التي توجد بها - حسب البيذق - دار كل من «فاسكات بن يحيى المكنى بعمر إيتي» ويوسف بن وانودين، وهذان الرجلان أصبحا فيما بعد من أبرز الشخصيات الموحدية (2).

بعد أن تتبع البيذق تنقلات الإمام ابن تومرت بين قرى عايت تيفنوت، أضاف قائلا : ثم منها نحو الجمعة متاع أمزين (3) فوعظهم فاستجابوا، ثم منها نحو تآدرات أغنبار (4) عند دار أبي صالح عبد الحليم بن أبي عبد السلام يَصْلُتُن من أهل خمسين، فبنى بها مسجدا، فارتحل منها نحو بني وَأَوْزَكِيثَ إلى دارٍ وأخليف فوعظهم فاستجابوا له، ثم ارتحل منها نحو إين مزال فجمعهم عند والال بن يَمَغِي...» (5).

2. انظر البيذق، المرجع السابق، النص ص 71 - 72، 33، 34، الترجمة ص 114 هامش 2 و 3.

3. ربما كان المقصود بأمزين هي قرية «ءاماسين» التي لا تزال ما تلة إلى اليوم ببلد زاكموزن بين قريتي عاماليز وتيميشا شمال تاليوين.

4. عايت تدرارات «قبيلة» تنتمي إلى كونفيدرالية عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ، وتستقر جنوب غرب جبل سيروان وغربه وكذلك عايت عوغباز الذين يعدون منهم (انظر البيذق الترجمة ص 62 هامش 3 و ص 217 هامش 2).

قارن مع : R. Montagne, Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Editions Afrique-Orient, Casablanca, 1989, pp. 316, 317. 350.

5. النص، ص 71 - 72.

تكاد هذه الفقرة تمكننا من معرفة موطن المجموعة البشرية الأولى التي كانت تحمل اسم عَائِثْ وَأَوْزَكِيْثْ قبل أن تندرج تحتها مجموعات بشرية كثيرة تحيط بالمجموعة الأولى من جميع الجهات.

لقد فقدت المجموعة الأولى اسمها حينما اتسع مدلوله، ورغم أن جميع المجموعات التي تتكون منها كونفيدرالية عَائِثْ وَأَوْزَكِيْثْ كما عرفت فيما بعد، لا تزال تحتفظ بأسمائها القديمة أو اتخذت لها أسماء جديدة، فإن اسم عَائِثْ وَأَوْزَكِيْثْ ككونفيدرالية، بقي متداولاً إلى اليوم، عكس ما وقع لأسماء كونفيدراليات أطلسية أخرى مثل : إِيْكُنْفِيْسُنْ، وإِيْتَنَانْ وإِيْلَانْ وَيُزْمِرُنْ ... المجاورين لأَيْثْ وَأَوْزَكِيْثْ من جهة الشمال والشمال الغربي ؛ فأين كان يقع موطن المجموعة الأم لكونفيدرالية عَائِثْ وَأَوْزَكِيْثْ ؟ إذا رجعنا إلى كلام البيذق السابق الذكر، سنجد أنه قال فيه بأن ابن تومرت ارتحل من عَائِثْ تَأْدَرَاتْ أغبار إلى بني واوزكيت، وبما أننا نعرف أن بلد أيت تادرات، وايت ءوغبار فرقة منهم، يقع غرب قمة سيروان شمال بلد إيداويلون وعایت سليمان، فإن موطن بني واوزكيت يقع ولاشك شمال بلد عایت تادرات أي المواقع التي تحتلها اليوم جماعة عایت مقور وجماعة عایت عوزيلال وقد ملنا إلى هذا الافتراض لأسباب ثلاثة هي : (1) أن الرجل المسمى «واخليف» الذي ذكر البيذق بأن داره توجد ببني واوزكيت، يمكن أن يكون إسمه هو الذي أصبح علماً على عایت ماغليف بعد تحريف بسيط لاسمه، واخليف ماغليف (2) أن ابن تومرت في رحلته اتجه نحو الشمال الغربي بعد مرحلة بني واوزكيت، لأن اتجاهه كان نحو إين مزال (وهم من إيتنان) والمكان الوحيد الذي احتفظ لنا بذكرى هؤلاء هو «أكادير إين مزال» ويوجد في أعالي ءاكنضيس جنوب تيزي - ن - وانكریم إلى الغرب من بلاد عایت وامومن (3) أن بني واوزكيت في موقعهم المذكور يشرفون على مناجم معدن الفضة المشهور بـ «زكَنْدَرْ» من جهة الشمال هذا المعدن الذي يحتمل أن يكون معروفاً قبل فترة الموحدين، استخلصه هؤلاء لأنفسهم وبدأوا يستغلونه لحسابهم، وربما كان لأَيْثْ وَأَوْزَكِيْثْ قبل ذلك، لذلك نجدهم يثورون على الموحدين عام 578 هـ / 1182 م في أواخر ولاية الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن ويحاصرون المنجم والعاملين فيه، مما اضطر الخليفة الموحدي إلى الذهاب إلى عين المكان هو بنفسه على رأس عسكره ليخمد فتنة عَائِثْ وَأَوْزَكِيْثْ، وقد أورد البيذق خبر هذه الحوادث تحت عنوان «غزوة سيروان» وقال : «بعد وصول أمير المؤمنين من قفصة ارتدت بنو

وأوزكيت وحصروا العدانيين في أغبار عند دار أبي صالح عبد الحليم بن أبي عبد السلام وهو يَصْلِتْنُ بن يَلا زَغِيخُ من أهل خمسين، فطلع إليهم بعسكره وحصرهم واحرق ديارهم...» (6)

واعتقد أن هذه الثورة التي اعتبرها البيذق ردة، تكفي دليلا على أن عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ كانوا يجدون في أنفسهم قوة وأنفة كافيتين لجعلهم يجرؤون على القيام ضد دولة قوية ذات نفوذ كبير في جبال دُرْن، التي منها منبتها، ومن سكانها استمدت قوتها وأسس بنائها.

غير أننا نجد أن مجال عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ الجغرافي اتسع كثيرا فيما بعد وأصبح يشمل مجموعات بشرية أخرى منتشرة في كل الجهات المحيطة بجبل سيروان الذي يمكن أن يعتبر بحق المركز المحوري لكونفيدرالية عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ.

ويبدو أن الموحدين أنفسهم ساهموا، قبل غيرهم، في توسيع الدائرة الوزكيتية بشكل كبير، ففي التنظيم الموحد يأتى أهل تِينْمَل مرتين في الدرجة الثانية بعد عَارْغُنْ أوهرْغَة مباشرة، وعارغن هم أهل الامام ابن تومت وقبيلته كما هو معلوم، فما هي المجموعات البشرية التي تكون وحدة أهل تِينْمَل ؟

نعود مرة أخرى ونفتح كتاب البيذق فنجد أن أهل تِينْمَل «نصرهم الله» على حد قوله - يتمثلون في المجموعات الآتية : «أْمُسْكَالْن، إِنْ وَرْثَاكْ، عَايت إلماس، أوسكتان، عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ، عَايت وانسا، عَايت تيفنوت، عَايت القبلية (لَقْبَلْتْ)؛ عَايت تدرارت، إيصناكن، عَايت سوس» (7).

من بين المجموعات المذكورة أعلاه نلاحظ وجود عَايت تيفنوت وعَايت تدرارت بالإضافة إلى عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ. ومعلوم أن عَايت تيفنوت وعَايت تدرارت أصبحوا فيما بعد من عداد عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ وهنا ينبغي التنبيه إلى أن عَايت تيفنوت تقع بلادهم ملاصقة من جهة الغرب لمجموعة عَائِثَ وَأَوْزَكِيثَ الأولى والتي حددناها سابقا، كما أن عَايت تدرارت يجاورونها من الجنوب. إن أهمية ما لاحظنا هنا هو أن التنظيم الموحد يجمع في وحدة واحدة، هي أهل تِينْمَل، ثلاث مجموعات متجاورة تنتمي كلها إلى منطقة سيروان الغربية وتتحكم في

6. النص، ص 127 - 128، انظر كذلك ابن عداري، البيان المغرب. الجزء الثالث تحقيق امبروسي هوبسي ميراندة، تطوان، 1960، ص 120.

7. النص، ص 40 - 41.

المجاري العليا لنهر سوس، وتشرف على المسالك الجبلية المارة بتلك المنطقة في اتجاه وازازات وماوالاها، وفي اتجاه مراكش عن طريق أودية إيغياين وإيوريكين<sup>(8)</sup> بالإضافة إلى وجود معدن الفضة المذكور سابقا داخل أراضيها.

هذه العوامل كلها تكون في اعتقادي الأساس المادي والمعنوي الذي كان وراء الانطلاقة الأولى لكونفيدرالية آيث وأوزكيت التي لم يقف توسعها عند هذا الحد كما سنرى.

وإذا استثنينا أومسكالن<sup>(9)</sup> وأوسكتان وإيزناكن وعایت وانسا<sup>(10)</sup> الذين تقع مواطنهم جميعا في منطقة سوس الأعلى ولكنهم لا يعتبرون من آيث وأوزكيت، وعایت إلماس وإين وارتانك<sup>(11)</sup> الذين لم نتمكن من تحديد مكان استقرارهم، فإن المجموعتين الباقيتين، وأعني بهما عایت سوس وعایت لقبلت يمكن التعرف عليهما وعلى مواطنهما.

فبالنسبة إلى مجموعة عایت سوس نعتقد أن المقصود بها هم على الأقل إيزيون وإيزاكموزن<sup>(12)</sup> وهؤلاء يحتلون الأراضي الواقعة ما بين عاولوز وتاليوين أي مناطق الاتصال بين سهل سوس الأعلى وسفوح جبال تيفنوت التي تنتمي إلى الأطلس الكبير، ومعلوم أن الأطلس الصغير والكتلة البركانية لجبل سيروان يلتحمان في هذه المنطقة بالذات، بالأطلس الكبير، وربما كان هذا هو العامل

---

8. هذه المسالك الجبلية ربما كانت أكثر اجتذابا للمسافرين خصوصا منهم من كان متجها من ناحية سوس إلى ناحية درعة، وذلك لأن الطريق الجنوبية المولية للصحراء كثيرا ما يفقدها الرجل أمنها رغم حرص السكان المستقرين على طولها على أمنها بغية الاستفادة من مداخل ضريبة المرور التي كان أدائها أمرا عاديا داخل أراضي المجتمعات الطليقة (انظر : E. laoust, Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas, Paris, 1942, p. 123-124 ; R. Montagne, op.cit. p. 249; Id, L'Aghbar et les Hautes vallées du Grand-Atlas, dans «Hespéris» Tome VII, année 1927, 1<sup>er</sup> Trimestre, p.7.

9. أومسكالن أو أيمسكالن (مسكالة) تقع أراضيهم في سفوح جبال تيزي - ن - تاست وقد كان هذا الاسم متداولاً حتى القرن الثامن عشر كما هو مؤكد في رحلة الوافد للتسافتي.

10. لعل المقصود هنا بـ «عایت وانسا» هم إيماديدن الذين تقع بلادهم في إيسكتان بسوس، غير بعيد من تاليوين الحالية وقد نسب إليهم البيذق قرية عانسا فسمها عانسان - إيماديدن التي كانت بها قلعة مرابطية هاجمها الموحدون في عهد الامام ابن تومرت (انظر البيذق، المرجع السابق، النص، ص 76، 128، قارن مع الترجمة، ص 122 هامش 4، 132 هامش 1).

قارن مع ما أورده العبدري في رحلته (الرباط 1968) ص 7 ومابعداها ؛ انظر كذلك التشوف (تحقيق أحمد التوفيق، 1984) ص 342 هامش 54 و 55.

11. ربما هم الواقعة بلادهم جنوب بلاد عایت سليمان بإزاكموزن (انظر روبر مونثاني، البربر والمخزون، الخريطة ما بين صفحتي 201 و 202.

12. المجموعة الأخيرة لا تزال تعتبر من عداد آيث وأوزكيت كما سيتضح ذلك فيما سيأتي من هذا العرض.

الطبيعي الذي ساعد على تكوين ممرات تربط بسهولة نسبية بين سهل سوس بصفة عامة ومنطقة وادي درعة الوسطى والعليا وما والاها شرقا وشمالا (13).

ومنطقة وادي درعة هذه هي التي يطلق عليها أهل سوس وسكان الأطلس الكبير الغربي بصفة عامة اسم «لَقْبَلْت» ومعنى هذا أن مجموعة آيت لقبلت تضم كل المجموعات البشرية القاطنة بشرق جبل سيروان وجبال تيفنوت، إلى حدود الضفة اليمنى لنهر وادي درعة في مجراه الأعلى. وهذه المجموعات لا تزال تعتبر وزكيتية الانتماء (14).

وإذا كان البكري قد اعتبر وازازات من بلد هسكورة وكذا الأراضي الواقعة جهة الشمال والشمال الغربي منها (15)، فإن هذا لا يغير شيئا مما قلناه سابقا. لأنه لم يذكر أن أراضي اسكورن تمتد جنوب الخط الواصل بين نقطة إلتقاء نهر دادس ونهر وازازات بنهر درعة، إلى تلوات. وإذا كان حوض نهر ءاونيل مندرجا بالضرورة في أراضي ءاسكورن، فإن مجرى نهر ءاسيف مارغن يمكن أن يعتبر حدا فاصلا بين ءآيث وأوْز كيث وءاسكورن.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن القبيلتين اللتين تستقران إلى اليوم شمال الخط المذكور هما إيمغران وإيونيلن. وهاتان من هسكورة القبلة في التصنيف الموحد. ولا يوجد أي أسم من أسماء المجموعات المكونة لهسكورة القبلة جنوب بلاد إيمغران وإيونيلن، في حين اليوم بعض هذه المجموعات مثل إيفسيفسن وإيزمراون مستقرة في السفح الشمالي للأطلس الكبير أو على مشارفه، وكان هذه المنطقة كانت بالنسبة إلى كونفيدرالية ءسكورن منطقة مرور فقط (تيزي ن - فدغات وتيزي ن - تلوات) في حركتهم الدائمة نحو السهول الشمالية الخصبة (16).

13. وهذا يعني أن هذه الممرات يتحكم فيها ءآيث وأوْز كيث وهذا يعطيهم سلطة استراتيجية أخرى ربما لم تكن غائبة عن أذهان صانعي الكتل الموحدية الأساسية التي بعد ءآيث وأوْز كيث واحدة من أهمها. (انظر : Charles de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* (1883-1884), Editions d'aujourd'hui, 1985, p. 96.

14. وقد كان البيذق نفسه ينع سكان هذه المناطق بـ «آيت لقبلت» (انظر النص، ص 45 وغيرها).

ومما يؤكد ما قلناه عبارة البيذق التالية : «وبلغ أبو حفص (عمر إيتي) إلى سيروان وضم بني واوْز كيث وق على نصفين فأعطى نصفهم لأهل تينمل والنصف الثاني لهنتاتة ...» كان هذا عند ارتداد كزولة ولمطة وآيت بيغاز وتهيأ الموحدون لقتالهم عام 549 هـ / 1155 م

15. البكري (أبو عبيد عبد الله)، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب أخرجه البارون دوسلان، باريس 1965، ص 152 - 153.

16. انظر أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، الطبعة الثانية، 1983، ص 51 وما بعدها.

غير أنه يبدو أن الوضعية تغيرت شيئاً ما لصالح عَائِثَ وَأَوْزَكَيْثَ في العهد السعدي وخاصة في زمن المنصور الذهبي الذي كانت أمه كما هو معلوم وزكيتية الأصل<sup>(17)</sup>. ولاشك أن هذه المصاهرة بين البلاط السعدي وعائث وأَوْزَكَيْثَ، دفعت بالعلاقات بين الطرفين إلى أقصى ما يمكن أن تكون عليه العلاقات المتينة من ثقة متبادلة وتعاضد محكم. وقد برز ذلك على وجه الخصوص في المكانة الرفيعة التي كان يحتلها الشيخ عزوز بن سعيد ابن منصور الوزكيتي الذي كان «من أحوال أحمد المنصور وكبار رجال دولته، تولى القيادة والوزارة والحجابه وولاه المنصور على الأطلس الكبير ولاية دائمة، فلقب بالمِزوار والقائد عزوز، كما لقب بصاحب جبل درن «وولد مولاة الناس» وقد عاش عبد العزيز بين قومه وزكيتية على نمط عيشة المنصور في مراكزه محيطاً بالعلماء والأدباء (...) فاتحاً لهم أبواب مكتبته التي عدت أسفارها بالآلاف»<sup>(18)</sup>.

وقال الإفرائي في النزهة نقلاً عن درة الحجال لابن القاضي بأن عبد العزيز الوزكيتي هذا «من ولد مسعود بن واركاس قائد الناصر الموحدي بغزوة العقاب...»<sup>(19)</sup> وسماه الفشتالي في مناهل الصفا «كبير الدولة القائد أبو محمد عزوز بن سعيد بن منصور الوزكيتي»<sup>(20)</sup>.

إن هذه الخطوة التي كان يتمتع بها المزوار الوزكيتي وعائلته، والسلطة الكبيرة التي واكبتها وخاصة في بلدهم الأصلي عَائِثَ وَأَوْزَكَيْثَ وجبال درن المجاورة ووادي درعة<sup>(21)</sup> لا بد أن ينعكس أثر ذلك على وضعية عَائِثَ وَأَوْزَكَيْثَ ككل وعلى العائلات القوية منهم بصفة خاصة. ومعنى هذا أن

17. انظر أخبر السيدة مسعودة بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورززاتي عند كل من محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، أخرجه هوادس (1888) الطبعة الثانية، الرباط (بدون تاريخ)، ص 79، وأحمد بن محمد المقرئ، روضة الآس العاطرة الأنفاس - الرباط 1983، ص 64 وما بعدها : والعباس بن ابراهيم، الاعلام بمن حل مراكزه وأغمات من الاعلام، الرباط 1977، ج 7، ص 269 وما بعدها، والناصري استقصاء، الدار البيضاء، 1955، ج 5، ص 89، 117 وما بعدها.

18. محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الجزء الأول الرباط 1976، ص 121، انظر كذلك محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي ... ص 169، العباس بن ابراهيم، الاعلام... 1977، ج 8، ص 449.

19. نزهة الحادي، ص 169.

20. عبد العزيز بن محمد الفشتالي، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء، تحقيق عبد الله كنون، تطوان، 1964، ص 68 - 69، وكذلك ص 25.

21. انظر الإفرائي، النزهة، ص 158.



المجال الجغرافي للكونفيدرالية لا بد أن يمتد وذلك بالاحتلال الفعلي للأراضي المتاخمة أو بانضواء المجموعات المجاورة للكونفيدرالية القوية. ويبدو أن هذا التوسع وصل فعلا حده الأقصى في هذا العهد. كما ازداد نفوذ العائلات الوزكيتية الحاكمة قوة، وخاصة في تازناخت وعایت زينب وتيمزكيط (مزكيطا) وورزازات، وإيمي ن - زكيط (22). وربما كانت عائلة مزوار تلوات الذي كان يعتبر أن بلده الأصلي هو وارزازات (23) قد بدأت تنمي نفوذها منذ ذلك الوقت إلى أن بلغ ذروته في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين (24).

ويبدو أن المجال الجغرافي الوزكيتي بقي كما كان تقريبا منذ ذلك الوقت، وبقيت المجموعات البشرية المكونة لكونفيدرالية عَائِتْ وَأَوُزْكَيْتْ محتفظة في ذاكرتها بانتمائها إليها، وعلى أساس هذه الذاكرة رسمت حدود عَائِتْ وَأَوُزْكَيْتْ على خريطة القبائل التي انجزت عام 1962 (25). مع الإشارة إلى وجود بعض الاختلاف بين المصادر الثلاثة المعتمدة هنا والمذكورة في الهامش رقم 25، في عدد المجموعات البشرية المكونة لكونفيدرالية عَائِتْ وَأَوُزْكَيْتْ. ويتعلق الأمر في الغالب بالمجموعات التي تقع أراضيها على أطراف حدود الكونفيدرالية وهي بالتحديد عایت وارزازات وعایت بودلال وعایت دوشن (تيكليدي ووشن) وعایت ساون وعایت سمكان (كرارا) وعایت عامر وعایت زكيط.

22. انظر مامول كرخال، إفريقيا، الجزء الثالث، ترجمة محمد حجي وآخرون، الرباط، 1989، ص 146،

149، 151 روبريموناني، البربر والمخزن، ص 315.

23. انظر شارل دو فوكولد المرجع السابق، ص 81.

24. انظر روبريموناني، البربر والمخزن، ص 329 وما بعدها، 334 وما بعدها العباس بن ابراهيم، الاعلام، (1977) ج 7 ص 236 وما بعدها.

Maroc, 1/500.000\*, Carte des tribus, 1962,

25. انظر :

Dressé, dessiné et publié par l'Institut Géographique National-Annexe du Maroc-Rabat.

أحصيت داخل هذه الحدود أربعة وعشرون مجموعة هي : عایت تيفنوت، إيداولون، عایت عوزيلال، عایت عثمان، زاكموزن، عایت عوبيال، عایت سمكان (سيروان)، عایت ماغليف، إيزخامن، عایت واغردا، عایت عامر، عایت دوشن، إينسولن (قرب إيمي ن - زكيط)، عایت زكيط، عایت تاسلا، عایت سمكان (كرارا)، عایت ساون، عایت وارزازات، عایت بودلال، عایت زينب، عایت تيديلي، عایت تيزكي عوزاليم، عایت تاماسين، عایت تامسنتيت (انظر البليق، المقتبس من كتاب الانساب في معرف الأصحاب. تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1971، ص 43 هامش 67)، يلاحظ بعض الاختلاف بين ما أورده عبد الوهاب بن منصور وبين ما تظهره خريطة القبائل المذكورة أعلاه، وبينهما وبين خريطة «روبير موناني» الواردة في كتابه «البربر والمخزن» ص 225.

قارن مع ما أورده عبد الله التاساقي، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد ... تحقيق صدقي علي أزايكو، الرباط، 1988 (مرقون)، ص 71 - 72.

ويغلب على الظن أن هذا الاختلاف راجع إلى عوامل ظرفية ينتج عنها عادة نفور مجموعة ما من الانتماء إلى المجموعة الأم. وهذا لا يظهر في غالب الأحيان إلا على مستوى الحرب الكلامية التي تتحول مع الزمان إلى حكاية شفوية قد تكون هي الحقيقة وقد تكون نقيضها في اعتبار سامعها بعد رسوخها، وهذه المصادر الشفوية هي المعتمدة في تحديد الانتماءات في مثل هذه الحالة.

ومع ذلك فإننا نعتقد أن كونفيدرالية ءايت وأوزكيت كما حددت مجموعاتها خريطة القبائل المغربية المطبوعة عام 1935، تمثل المجموعة الوزكيتية المتكاملة في أقرب صورها إلى الحقيقة، لأن حدودها في هذه الحالة تكاد تكون حدودا مثالية سواء على المستوى الجغرافي أو الأيكولوجي أو على المستوى البشري باعتباره المحلية (انظر هامش رقم 32).

### المميزات العامة للمجال الجغرافي لبلاد ءايت وأوزكيت :

يكاد المجال الوزكيتي ينطبق جغرافيا وبشريا على منطقة إلتحام الأطلس الصغير عند طرفه الشمالي الشرقي بالأطلس الكبير عند السفوح الجنوبية لكتلة توبكال (4165م)، فهو يضم جبل سيروان (3304م) ومحيطه وقسما من جبل باني حوالي إيمي ن - زكيط والمجاري العليا لنهر سوس وبعضا من المجاري العليا لنهر درا وأعني نهر ورازات وروافده (تيديلي، إيميني، إيغيني، مارغن) باستثناء نهر ءاونيل.

كما يضم النصف الجنوبي لكتلة توبكال ابتداء من تيزي ن - واکان الواقعة بين جبل وانوكريم وجبل بوووزال غربا، إلى تيزي ن - ءيسردان عند المنابع العليا لنهر إيوريكن ونهر الزات ونهر تيديلي شرقا.

وفي هذه الجهة (الشرقية) تمتد أراضي ءايت وأوزكيت عمليا إلى ما وراء تيزي ن - زارزيت الواقعة بين أراضي ءايت تامستين والحوض الأعلى لنهر الزات (26). فأيت وامومن بتيفنوت وءايت تامستين يكونون طرفي القوس الوزكيتي حول كتلة توبكال من جهة الجنوب الشرقي.

26. هذا العمر الجبلي يخترق الجبل المسمى «ءيسك ن - ءوغري» الذي يمتد بين ءايت تامستين والمنابع العليا لنهر الزات.

وبما أن المراعي الجبلية العليا المنتشرة حوالي قمة توبكال ملك للمجموعات الوزكيتية القرية منها (27)، ونظرا لكون مساكن هذه المجموعات متغلغلة أكثر من غيرها داخل الكتلة التوبكالية - عايت تيزكي تيفنوت مثلا (28)، فإنه ليس من الخطأ القول : إن كتلة توبكال جزء لا يتجزأ من المجال الجغرافي الوزكيتي.

وهذا يعني أنهم على اتصال مباشر من ناحية الشمال الغربي بإيغياين وإيوريكين وإيمسيوان الذين تمتد أراضيهم إلى ضواحي مراكش كما هو معلوم ؛ وبأهل وادي نفيس عن طريق ءاكنضيس وتكنت وءازاضن (29)، وعن طريق وادي ءازاضن هذا يتواصل ءايت واورزكيت التيفنوتيون بإخوانهم المستقرين في الدير الشمالي للأطلس، حيث يحتلون القسم الغربي من هضبة كيك والضفة اليمنى لنهر نفيس عند خروجه من المنطقة الجبلية (30).

وقد تبين فيما سبق أنه على اتصال مباشر كذلك بوادي سوس الأعلى وبعض واحات جبل باني (إيمي ن - زكيط) ووادي درعة (تيمزكيط = مركزط) ووادي إيونيلن الذين يحتلون - هم وعايت زينب - العتبة الشرقية للممر الجبلي المعروف : تيزي ن - تلوات - الرابط بين وارزازات وحوز مراكش (31) وهذا الممر - كما سنرى فيما بعد - يعتبر من أهم الممرات الجبلية التي لعبت دورا أساسيا في تاريخ المغرب العميق منذ قرون متغلغلة في القدم.

27. انظر : J. Dresch et Jacques de l'épiney, le massif de Toubkal, 2<sup>e</sup> édition, Casablanca, 1942, P. 69-70.

28. انظر : J. Dresch, Documents sur les genres de vie de montagne dans le massif central du Grand-Atlas, cartes, Tours, 1941, Planche I (Feuille n°2) et (Feuille n° 3); Commentaires,, p. 7.

29. هذه الأسماء الثلاثة الأخيرة تطلق على ثلاث مجموعات بشرية تحتل بالتوالي وادي ءاكنضيس ووادي تكنت ووادي ءازاضن وكلها روافد اليمنى لنهر نفيس. وتتصل هذه المجموعات بأيت تيفنوت اتصالا مباشرا عن طريق ممرات جبلية معروفة ومن أهم هذه الممرات ذلك الذي يخترق تيزي ن - ويشدان بأكنضيس ليفضي إلى قلب وادي نفيس حيث توجد تينمل مهد الموحدين.

30. إذا كنا لا نستطيع الجزم بأن ءازاضن ينتمون إلى ءايت واورزكيت لأن إسمهم قديم ومتميز منذ قرون، فإن هناك معطيات كثيرة تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنهم صاروا وزكيتين تدريجيا. أهم هذه المعطيات هي (1) كونهم منفصلون بين مجموعتين وزكيتين (2) كونهم مجموعة بشرية قليلة العدد ومحدودة الموارد (3) كونهم معرضين للاكساح من جهة ءايت واورزكيت الجنوبيين أكثر من أية جهة أخرى. وقد يقع ذلك في فترات يقع فيها انقراض قسم من سكان ءازاضن بسبب كارثة طبيعية مثلا.

31. هذا الممر يحتوي في واقع الأمر على ثلاثة من المعابر الجبلية متقاربة ومعروفة، هي : تيزي ن - تلوات وتيزي ن - تيشكا وتيزي ن - تابنات المعبران الأولان يفضيان إلى وادي رداد، والمعبر الأخير يفضي إلى وادي الزات، انظر

Ch. de Foucauld, Reconnaissance..., P. 96

إن المجال الوزكيتي كما حدد أعلاه تتجلى فيه المميزات التالية :

1. اتساع رقعته الجغرافية إذ تبلغ حوالي عشرين ألف كلم<sup>2</sup>، تمتد أطرافها القصوى من تاغيا - ن - درا أو خانق درعة من جهة الجنوب الشرقي من وارزازات، تاليوين وحدود إيوزيون على نهر سوس الأعلى، ومن عيمي ن - زكيط أو فم زكيط بجبل باني المشرف على وادي درعة الأوسط إلى تيزي ن - تاينات قرب تيزي ن تيشكا التي تمر بها اليوم الطريق الرئيسية الواصلة بين وارزازات ومراكش (32).

2. امتداده على المنطقة الوحيدة التي يندمج فيها الأطلس الصغير في الأطلس الكبير، أي على المنطقة الوحيدة التي يمكن أن يتواصل عن طريقها سكان الجنوب الغربي وسكان الأطلس الكبير دون الاضطرار إلى اختراق منطقة سهلية تكون عادة خاضعة لمراقبة السلطة المخزنية (سهل سوس على سبيل المثال).

أو مجابة صحراوية خليقة بان تسود فيها سطوة البدو الرحل (وادي درعة في أجزائه الواقعة جنوب جبل باني).

3. وقوعه في منطقة تعتبر حلقة اتصال حوض درا وحوض سوس وحوض تانسيفت في أجزائها العليا. وهذه الأحواض لا جدال في كونها أهم أحواض الجنوب الغربي المغربي برمته على جميع المستويات. وهذا يعني أن أقرب طرق الاتصال بين الأجزاء المذكورة من تلك الأحواض تمر بـءايت وأوزكيت وتخترق جميعها مناطق جبلية لا تخضع إلا لمراقبة السكان الذين تعبر بلادهم.

4. اشتماله على منطقتين تتأثران بعوامل مناخية مختلفة تصل بين بعض أجزائه إلى حد التناقض البين : منطقة شبه صحراوية تسود فيها الحياة الرعوية وتقتصر فيها الأنشطة الزراعية على الواحات. وهذه المنطقة هي التي تقع في جنوبه الشرقي، أما المنطقة الثانية فهي التي تقع في شماله الغربي، غرب الخط الواصل بين تيزي - ن - تيشكا وجبل سيروان وفيها تقع كتلة توبكال وجبل سيروان، وهي منطقة جبلية كبيرة الارتفاع تتلقى من التساقطات المائية

---

32. انظر : Cartes des Tribus du Maroc, dans *Liste des confédérations, des Tribus et des principales fractions du Maroc* (1935).

Publié par la Résidence Générale de la République française au Maroc, Direction des Affaires Indigènes.

كمية لا يستهان بها، ويسود فيها النشاط الزراعي وتربية المواشي، ويتركز هذا النشاط عادة في أودية الأنهار. ويلاحظ أن الكثافة السكانية فيها أعلى منها في المنطقة السابقة (33) مع أن هذه أكبر من الثانية من حيث المساحة، وأقل منها ارتفاعا من حيث التضاريس.

5. توفره على ثروات معدنية يرجع استغلال بعض مناجمها إلى القرن الثاني عشر الميلادي على أقل تقدير، ويتعلق الأمر هنا بمنجم ءاغبار بجبل زكندر الواقع بين سيروان وتويكال قرب بلدة ءاسكاون الحالية بتيفنوت والذي اهتم الموحدون باستغلاله بحرص كبير (34).

وإذا كان هذا المنجم قد أهمل اليوم، فإن مجال ءايت وأوركيث الجغرافي يتوفر على مناجم أخرى لا تزال تعتبر اليوم من أهم المناجم المغربية، وأقصد بها مناجم بووازار وبوتازولت (تيويين) وإيميني التي تتوفر بها معادن الكوبالت والمانكانيز. (انظر : Atlas du Maroc, Notices explicatives, section X, Economie minière, par A. André, J. Le Coz, Rabat, 1961, PP. 30 - 99).

ولا يستبعد أن يكون الوزكيثيون قد استفادوا في نشاطهم هذا من تجربة منجمي الأطلس الصغير وتامدولت (35) ومنجمي وادي درعة (36) الذين عرفوا جميعا بالنشاط المنجمي منذ القدم.

6. انفتاحه الواسع على الشرق والجنوب الغربي أمام مسلك تيزي ن - ءوكلاوو (تلوات) الذي يعد واحدا من الممرات الجبلية التي تجتذب أكبر عدد ممكن من المسافرين في الأطلس الكبير الغربي كله وذلك منذ عصور متغلغلة

33. انظر : Dresch et Lépiney, op.cit., pp. 55 - sqq.

34. انظر البيهقي، المرجع السابق، النص، ص 127 - 128 : الترجمة ص 217 هامش 2 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص 212، ابن عذاري البيان، تحقيق امبروسي هوسي ميراندا، ص 120 وقد كتب القزويني في كتابه آثار البلاد عن هذا المنجم كلاما فيه تفاصيل تقنية عن عملية الاستغلال لا توجد عند غيره. وقد استقى ذلك من مخبر مغربي اسمه علي بن عبد الله الحبحاتي. وكلام القزويني هذا نقله ج. كولان إلى الفرنسية ونشر بمجلة هيسيريس 1954 مجلد 41، الفصل الأول والثاني من السنة ص 229 - 230.

35. انظر : Bernard Rosenberger, Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne IX<sup>e</sup> - XIV<sup>e</sup> S., In Hespéris Tamuda, vol. XI, Fascicule unique, 1970, PP. 103-139.

36. انظر محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، 1976، ص 275.

في القدم (36) كما يعد أقرب طريق يربط حوض تانسيفت وحوض درعة ومنطقة الواحات الجنوبية الشرقية بصفة عامة سواء منها التي تقع في جبل صاغرو وما حوله وتافيلالت وحوض زيز وغريس أو التي تقع في الأطلس الصغير الشمالي الشرقي ووادي درعة وجبل باني (38).

غير أن انفتاحه على القسم الثاني من الواحات يبدو أكثر وضوحاً، كما أن الارتباط بينهما يلوح أكثر كثافة ومتانة سواء من الناحية البشرية أو من الناحية الاقتصادية. فالاستمرار الاسمي - على الأقل - للمجموعات البشرية المكونة للكونفيدرالية ثابت منذ قرون، والوحدة اللغوية بينها حقيقة كذلك، كما أن التكامل بين اقتصاد الواحات واقتصاد الجبال موجود بشكل لا يقبل الجدل.

إن أهمية هذه الملاحظة تتأكد أكثر إذا تذكرنا أن واحات درعة وباني كانت تكون منذ زمن بعيد مراسي صحراوية حقيقية على طول السفح الجنوبي للأطلس الصغير ومعلوم أن المنطقة المذكورة - رغم أن وضعيتها الجغرافية تبدو للملاحظ المعاصر - وكأنها هامشية، نشاطها يكاد يكون منعماً، تأثيرها ليس ذا أهمية، ودورها التاريخي يكتنفه سكون مدهش - كانت دوماً طيلة عشرات القرون، منطقة مرور وتواصل وتبادل واختمار تاريخي. وكدليل على ذلك يكفي أن نشير إلى أن النقوش الحجرية المعروفة في الجنوب الغربي تكاد تقتصر على هذه المنطقة والتي تعتبر امتداداً لها. هذه النقوش يوجد المعروف منها في جبل ياكور وواحات طاطا وإيمي عوكادير (فم الحصن) (39).

كما أن مدن أغمات ودرعة وتامدلت ونول ... كانت بدورها معروفة قبل القرن الحادي عشر. ووجودها على طول الحزام الدرعي وأطرافه، مع ثبوت العلاقة فيما بينها عن طريقه بصفة خاصة، دليل آخر على حيوية ونشاط هذا الممر ما قبل الصحراوي الذي تمر به في كل اتجاه منتجات السفح الشمالي

---

37. وما يدل على ذلك وجود عدد كبير من النقوش الحجرية في الهضاب العليا لكل من ياكور وءانكور في أعالي إيمسيوان وءيوريكين غرب الممر المذكور.

انظر على سبيل المثال : Histoire du Maroc, (Collectif), Hatier, 1967, pp.7, 13-14-15

38. تتضمن كثير من المصادر التاريخية المعروفة إشارات وأخباراً تثبت ما قلناه، كالبكري وصاحب الاستبصار وابن عذاري وابن أبي زرع والفشتالي وابن مليح (السراج)...

39. انظر المرجع المذكور في الهامش 37.

والجنوبي للسلسلة الأطلسية الغربية (40).

كما أن واحات تائمكوت وتاكونيت الواقعة جنوب زأكورا وواحات إيمي ن - زكيز أو فم ركيط، وتيسينث وطاطا وأقا وإيمي أوكادير (أو فم الحصن) تعد بجانب أخرى أفواها مخضرة تخفف إلى إلى حد ما من قسوة الكتلة الصخرية المزركة لجبل باني (41) الذي يشرف من جهة الشمال على وادي درعة ابتداء من تاكونيت إلى المحيط الأطلسي.

غير أن أهمية هذه الواحات ترجع بصفة خاصة إلى أنها كانت مراكز تجارية ذات آفاق واسعة على مستوى المبادلات بين إفريقيا الغربية وغرب البحر المتوسط. فهي إذن مراحل ضرورية في طريق القوافل التي تعبر رمال الصحراء أو تخترق ممرات الأطلس الكبير في اتجاه أغمات أو مراکش أو ما وإلا هما (42) كما تمر بها القوافل المتوجهة إلى سجلماسة وتافيلالت أو الآتية منهما في اتجاه بلاد السودان (43).

وربما كانت هذه الأهمية التجارية هي التي دفعت المرابطين الأوائل إلى إخضاع منطقة درعة قبل أية منطقة أخرى من المغرب (44).

إن الأنشطة التجارية لهذه الأبواب المنفتحة على فضاءات جنوب البلاد الصحراوية بقيت مستمرة حتى بعد النهاية الغامضة لمدينة تامدولت في القرن الرابع عشر، وقد يكون زوالها عاملا مساعدا ساهم في ازدياد النشاط التجاري

---

40. انظر البكري، المرجع السابق، ص 167، الأديسي، المرجع السابق ص 16، 34، 36، ومابعدا، مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء 1985، 206، 207، 213، عبد العزيز الفشتالي، ماهرل ... ص 68، محمد المختار السوسي، خلال جزولة، تطوان (بدون تاريخ) ج 3 ص 4 - 99.

— Gaston Daverdun, Marrakech des origines à 1912, Rabat, 1959, pp. 22-24;

— R. Montagne, les Berbères..., pp. 13 sqq.

— B. Rosenberger, op. cit., p. 124 et passim

41. يبدو أن كلمة «باني» أمازيغية الأصل، وتعني كون الشيء، أزرقا أو مائلا إلى الزرق، انظر : Ch. de Foucauld, Dictionnaire Touareg-Français, Imprimerie Nationale de France, 1951, Tome I, p. 76.Id., Reconnaissance..., p. 114.

42. انظر : R. Montagne, Les Berbères..., pp. 13 sqq, 15 sqq.

43. انظر البكري، المرجع السابق، ص 155 وما بعدها، الأديسي، المرجع السابق، ص 36 وما بعدها.

44. ابن عذاري، البيان، ج. 4، ص 11، 13.

للواحات المجاورة (45) الذي بقي ملاحظا حتى بداية القرن السابع عشر (بعد فتح السودان). وبعد موت المنصور الذهبي بدأ في التراجع إلى أن أصبح شبه منعدم في بداية القرن الثامن عشر (46).

إن المنطقة الجبلية المحيطة بسيروان تكون جزءا لا يتجزأ من هذا المجال الجغرافي والبشري الذي لعب دورا تاريخيا هاما جدا لم يهتم المؤرخون بعد بدراسته وبلورته. وإن كنت اعتقد أن هذا الإهتمام ينبغي أن ينصب في الواقع على مجموع المناطق المحيطة بقمة توبكال في نفس الوقت لكي تتمكن من معرفة الدور المهيمن للمجموعات البشرية القاطنة بها على التاريخ المحلي والوطني.

وهذا ما سأحاول أن أثير الإنتباه إليه مستقبلا في القسم الثاني من هذا البحث.

---

45. انظر مقال روزانبيجي حول تامدولت، وقد أشير إليه سابقا ؛ انظر كذلك مارمول كربخال، افريقيا، ج III ص 140 وما بعدها.

46. انظر : Histoire du Maroc (collectif), pp. 219, 247. —  
Ch.de Foucauld, Reconnaissance ... p. 126